

الأمل

أن الحديث عن الخواطر التي تدافعت في رأسي وأنا انتقل في أرض الحجاز بين آلاف من المسلمين جاءوا من كل فج عميق سيطول بي وبك أيها القارئ...

وقد قلت لك أمس أن المشعل المضيء الباهر، الذي ورثناه — نحن المسلمين — عن سيد المناضلين الثوار نبينا محمد، لن يخطفه أحد بعد اليوم ليطفئه فيضل المسلمون الطريق من جديد...

بل سوف يأخذه مناضلون ثوار كافحوا من أجل الحق والعدل والعمل، ليرفعوه عاليا حتى لا تراه الملايين فتمضي في الطريق مهتدية بنوره...

واليوم، وقبل أن أمضي في الحديث عن الأمل الذي انبثق — أخيرا — أمام المسلمين وهم يؤدون فريضة الحج هذا العام.. أود أن أقول انني شاهدت مولد المعجزة!!

وكنت قبل أن أشاهد مولدها شاهدت وفود المسلمين الذين جاءوا من مصر. من كل بلد فيها من يوحد الله ويصلي علي محمد، لن يخطفه أحد بعد اليوم ليطفئة فيضل المسلمون الطريق من جديد...

بل سوف يأخذه مناضلون ثوار كافحوا من أجل الحق والعدل والعمل، ليرفعوا عاليا حتى تراه الملايين فتمضي الطريق مهتدية بنوره...

واليوم، وقبل أن أشاهد مولدها قد شاهدت وفود المسلمين الذين جاءوا من مصر. ومن كل بلد فيها من يوحد الله ويصلي علي محمد، وقد بدت علي وجوههم الحيرة الكبرى.

كانوا حيارى — جميعا — وفي أعينهم شيء ما لمحتة فحيرني أنا أيضا!!

ما هو هذا الشيء؟!؟

ولماذا لا يفصح أصحابه عنه؟!؟

كانوا يقبلون علينا.. مسلمون من آسيا.. ومن أفريقيا، ومن كل أطراف الدنيا.. ثم يحيطون بنا..

ونفس الشيء الغامض كان كامنا في كل عين التقت بها عيناى!

انهم يريدون أن يقولوا شيئا... وخيل الي انهم يريدون وهم يحيطون بجمال عبد الناصر مرحبين ملهوفين أن يقولوا له: أيها النائر الذي من مصر.. ماذا نصنع!؟

كانت الوجوه كلها تفصح عن هذا السؤال... بل وكانت تفصح عن عديد من الأسئلة...

وكل الوجوه كانت تطفح بالمأساة!!

وجمال عبد الناصر، كان يبدو وسط وفودهم مثل أمل هائل أنتقل من ضفاف النيل الي أرض المسلمين جميعا – الحجاز – وتحدثنا إليهم وتحدثوا ألينا... وجمال يطرق برأسه أحيانا الي الأرض ثم يرفعها الي السماء، وفي عينية شيء اخر يريد أن يترجمه الي كلمات يقولها للوفود الملهوفة المقبلة عليه.. الحبيبة الي نفسه...

ومن خلال الكلمات العديدة التي خرجت من أفواه أعضاء الوفود فهمنا أنهم علي وعي عظيم..

هم قد عرفوا – مثلا – أن المسلمين.. ملايين المسلمين في آسيا وأفريقيا وأوربا يمكن أن يمضوا – جميعا – في طريق واحد، يصنعون شيئا ما.. رائعا ضخما يحدد لهم مكانهم تحت الشمس وينتشلهم من تلك الهوة المظلمة الكئيبة العفنة التي تردوا فيها منذ مئات السنين، ثم لم يجدوا من يمد يده ليخرجهم منها.. الي النور.

أما هذا الشيء الذي يمكنهم – المسلمون – أن يصنعوه فلا أحد منهم كان يعرف!!

كان أعضاء الوفود يحاولون بكل ما يملكون من طاقة متأججة كامنة في نفوسهم منذ فجر الإسلام أن يحددوا معالم هذا الشيء الذي يجب أن يصنعوه، ليتخلصوا من مأساتهم، من مأساتنا جميعا!

ومن خلال الأحاديث التي دارت فوق رمال أرض النبي، ومن خلال الرغبة في التخلص من المأساة، انبثق الأمل عريضا، ساطعا خلابا باهرا... انبعثت فكرة المؤتمر الإسلامي!

وعلي مئات الوجوه التي كانت تطفح بالمأساة ربض الأمل العريض بعد انبثاقه فبدت تلك الوجوه مشرقة بل ملهوفة علي تحقيقه...

وعلي مئات الوجوه التي كانت تطفح بالمأساة ربض الأمل العريض بعد انبثاقه فبدت تلك الوجوه مشرقة بل ملهوفة علي تحقيقه..

قالوا - جميعا - انهم قد عرفوا - أخيرا - هذا الشيء الغامض الذي ظلوا يتلمسون الطريق إليه فلم يجدوه، ثم قالوا أن المؤتمر الاسلامي هو الطريق، نفس الطريق الذي كانوا تائهين عنه... تاهوا عنه في آسيا وفي أفريقيا وفي أوروبا!

وبدأنا نشرح للوفود فكرة المؤتمر الاسلامي... وشعرنا أنهم ليسوا في حاجة الي من يشرح الفكرة لهم...

كما خيل ألينا انهم كانوا - في عقلهم الباطن - قد هضموا فكرته. وأمنوا بها ثم في غمرة الحيرة التي انتابتهم لم يستطيعوا الإفصاح عنها...

لقد عرفوا - مثلا - أن المؤتمر الاسلامي يمكنه أن يحرر ملايين المسلمين في مشارق الأرض ومغاربها من مأساة الكهانة. تلك المأساة التي حولت حياة الملايين الي شيء كراهه بغيض ثم أهدرت أدميتهم واغلقت عقولهم... وحالت بينهم وبين اللحاق بركب الحضارة المندفع دائما الي الأمام!

لقد أرهقت الكهانة الشعوب الإسلامية وحطمت إمكانياتها وعصفت بها عصفاء.. وفي كل عصر مر بتلك الشعوب كان المشعورون والانتهازيون.. وطلاب الأسلاب والغنائم يظهرون بين صفوف المسلمين، يستغلون مأساتهم الكبرى المغلفة علي الفقر والجهل والحاجة فيقودونهم الي طريق الكهانة الأثيم...

وهكذا استغل هؤلاء الدين استغلالاً شائناً واتجروا به كأنه بضاعة تخضع للعرض والطلب، فأصبح الدين في نظر هؤلاء صلاة وصوما وتمتمة وعد حبات المسابح وترديد الأحاديث بلا فهم ودعوة الي الرضي بما هو مكتوب.. علي الجبين!!

وباسم الدين يقفز من حين لآخر دجال مشعوذ رجعي بين الصفوف لينادي المسلمين أن يتبعوه!

...الي أين؟!

هو لا يقول شيئاً.. وهو لا يعرف شيئاً.. لكنه يتكلم عن الله وعن محمد وعن الصحابة والأولياء.. وعن الدستور الأعظم " القرآن " ثم يسكت عن الكلام المباح! ويقع بعض المسلمين في شرك ذلك الدعي الكاهن.. يقعون بحسن نية تدفعهم أحاسيسهم نحو الله ونحو الرسول!

وأصبح من السهل أن يدس تجار الدين أشياء غريبة عنه ولم يجيء بها صاحب الرسالة علي الإطلاق.

وأصبح من السهل أن يحصل أفراد — من هذا النوع — علي مكاسب شخصية وعلي بغيتهم في الدنيا. وهي لا تخرج عن مطمع في سلطان ورغبة في نفوذ وعشق للجاه والشهرة!. والجماهير بالرغم من هذا التخريب في صفوفها — مستريحة الي حد ما.. لأنها تعتقد أن سيرها وراء تجار الدين يقربها من الله!

وكان أصبح المسلمون في نظر العالم والرأي العام العالمي فئة من المشعوذين بل وتجراً البعض فأتهمهم بالوثنية... وهو معذور ورب الكعبة!

فهذا التأخر الذي هم فيه، وهذا الفقر الذي هم فيه. وهذا الجهل الذي يسود تفكيرهم وخطواتهم... وهذا.. الخ قد جعل الرأي العام العالمي يؤمن بأن الإسلام دين شعوذة ورجعية واستسلام للوهم!

وهكذا تمت الجريمة.. جريمة تشويه أعظم الرسالات وأقواها وأكثرها ثورية وإيماناً
بالتقدم!

كانت الكهانة أذن – ولا زالت – جريمة ترتكب في حق اتباع محمد... وفي حق
المؤمنين بأقوى المناضلين وأقدرهم!

فهل كان يمكن أن يسكت الرجال الذين يؤمنون بالعدل والحق والعمل عليها – علي
الجريمة –؟!